د. جوني منصور*

تفكك واختفاء الأحزاب الصهيونية الايديولوجية: حزب العمال الموحد(مبام) نموذجاً

شهدت الساحة الحزبية الاسرائيلية، وما زالت، مسيرة تفكك وانهيار الأحزاب الايديولوجية، المتزامن مع دخول حركات وتيارات سياسية همها الأول وقبل كل شيء كسب المزيد من الأصوات. ولا يغيب عن بال احد أن مرحلة المبادئ السياسية والعقائد الفكرية قد ولت واستبدلتها مراحل من الاستهلاك السياسي المتغير والمتقلب وفقا لانطلاقة اقتصادية الأساس، وهي تعني التغير الدائم والمتواصل في مجرى حركة سياسية وحزبية، بحيث أنها لا تبقى أسيرة قيود الايديولوجيا التي كانت سائدة في الشارع الإسرائيلي العام حتى نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينات. وهنا دخلت التيارات الحزبية والسياسية في إسرائيل مرحلة التأقلم مع مجريات الأمور والمتغيرات التي أخذت تحكم الشارع السياسي. هذا لا يعني بالضرورة التنازل عن ثوابت مشتركة أساسية يعتبرها كل ذي حجة في إسرائيل أنها جزء من مكوناته الخاصة ولا يتم المتاجرة بها.

حالة التفكك بل التآكل التي تعرضت لها الحركة الحزبية الإسرائيلية عبر العقود الخمسة الأخيرة لها عدة مدلولات سياسية واجتماعية واقتصادية ،منها : تثبيت أُسس وقواعد الدولة اليهودية والمجتمع الإسرائيلي الجديد والانتهاء من مرحلة التأسيس التي كانت من بين مقدمات هذا التفكك والتراجع في التأثير والفعالية للأحزاب العقائدية. أضف إلى ذلك أن لجوء النشاط السياسي والحزبي في إسرائيل إلى تبني أُسس وقواعد النشاط الاقتصادي الحر سهل في خلق مفاهيم ومعايير جديدة

* باحث ومحاضر في كليتي عبلين وبيت بيرل.

في العقلية الإسرائيلية ألا وهي ضرورة التخلص من الأحزاب المتمسكة بالعقائد وسط عالم متغير يوميا وبصورة دائمة وفعالة .

إن المشهد الحزبي الإسرائيلي وجد ضالته في ترك الايديولوجيا الرنانة والقاسية، والفظة أحيانا، ليتجه نحو مرونة سياسية وحركية حزبية – سياسية تعتمد أُسساً متغيرة دائماً وغير محصورة في قوالب فكرية عفا عليها الزمن .

من جهة أُخرى فإن الحراك الحزبي في إسرائيل ، وبشكل خاص بعد انقلاب الحكم في عام ١٩٧٧ بهزيمة حزب العمل لأول مرة وفقدانه رسن الحكم لصالح حزب الليكود كان بمثابة كسر قوالب الايديولوجية والسير في مسارات انتخابية صرفة، والابتعاد رويدا عن المتاجرة بالايديولوجية الحزبية والسياسية .

يجمع كثيرون على أن انقلاب الحكم في إسرائيل، في العام أعلاه، ما هو إلا دليل على نضج سياسي لدى المجتمع الإسرائيلي وقفزة مستقبلية باتجاه ديناميكية حزبية متحررة من قيود المسوخ السياسية التقليدية .

انقلاب الحكم من العام ١٩٧٧ عمق الفوارق السياسية والاجتماعية بين الحزبين الكبيرين(العمل والليكود)، وأيضا احدث تشويشا على مفاهيم داخلية في الثقافات السياسية الهامشية والجانبية، مع الحفاظ على بنى الكتل السياسية نوعا ما، إذ لم تعد المنافسة على أساس إبراز الهوية السياسية بقدر ما هو إبراز الموقع الشخصي والنفوذ والقوة.[١]

وتزامن التغير في الحكم مع حصول متغيرات أساسية على الساحة الاقتصادية الإسرائيلية بحيث أن حزب الليكود الحاكم توجه إلى الاقتصاد الليبرالي، مما حطم تماثيل الفكر العمالي الاشتراكي والتعاوني ، وبالتالي ساهم في خلق معايير جديدة لرؤية حزبية وسياسية من نوع آخر.

ومما لا شك فيه أن الساحة الحزبية الإسرائيلية المتميزة بالتنوع الحزبي وتقلب الأحزاب والقوائم الانتخابية ما هو إلا دليل متواصل على عدم استقرار سياسي بالمفهوم العقائدي وغياب مرجعية عقائدية تعمل على تزويد آلة الحكم برؤى سياسية ومفاهيم تدعم النشاط السياسي. ما يدعم كل نشاط سياسي ليست الايديولوجية في حد ذاتها والتي تحولت إلى شعارات فارغة من مضامينها ، إنما قوة الحزب في جذب أعداد أكثر من الناخبين والداعمين لقوته في الكنيست الإسرائيلي.

لم تعد مسألة الايديولوجيا هي الفيصل في النشاط الحزبي، ولم يعد الإقناع بتبني فكر سياسي وفلسفة سياسية هو القوة الجاذبة، ما هو كائن في الساحة السياسية والحزبية هو قوة الناخبين في إيصال هذا الحزب إلى الكنيست أو عدم إيصاله. وهنا تطورت وظيفة جديدة في هذا السياق وهي مقاولو أصوات يعملون في كل الأحزاب لكسب المزيد من المصوتين. لم تعد الايديولوجيا هي البوصلة الموجهة لزعامات الأحزاب السياسية إنما الحسابات في القدر الانجازي لعدد اكبر من المصوتين.وهناك من يدّعي أن الأحزاب في إسرائيل لم تمت، بل إن بعضا منها ما زالت قوته ظاهرة على الأرض من حيث الفعل السياسي والتأثير الايديولوجي نوعا ما . ولكن من الواضح أن كل الأحزاب مبحرة في محيط التغير والتبدل، خاصة الأحزاب الكبيرة وذلك بتزامن مع ديموقراطية التلفزيون. وتحول هَمّ الأحزاب الكبيرة، ثم الصغيرة في اختيار رئيس وزعيم الحزب والذي سيترشح لرئاسة الحكومة، وبالتالي انتخاب مرشحي الحزب وفق مقاييس شخصيته وقدرته على كسب المزيد من أصوات الناخبين. ولهذا يهتم المرشحون في تحسين صورتهم أمام كاميرات التلفزيون، لكون التلفزيون وبقية وسائل الإعلام هي المروجة الأساسية له ولحزبه.بمعنى آخر أصبح التنافس المميز للأحزاب في عصرنا الحاضر متمحور في القوة الشخصية وإطلاق تصريحات رنانة وتوزيع مكاسب مسبقة، وهذا ما يميز السياسة الانتخابية في معظم الدول الديموقراطية في العالم الغربي على وجه الخصوص.ولكن رغم كل هذا هناك شبه إجماع في الشارع الإسرائيلي، وعلى وجه التحديد، في أوساط الباحثين والخبراء في مجال الأحزاب أن الأحزاب العقائدية قد ولى زمانها، وتستبدل الآن بأحزاب أكثر براغماتية وجاذبة للشباب .[٢]

هذا التفكك والتراجع في المعايير والمفاهيم الايديولوجية ، لم يصب المجال الحزبي فقط ، إنما اخترق مجالات حياتية أُخرى متعددة ، وفي مقدمتها الاقتصاد والمجتمع والثقافة .

فالمنطلق الاقتصادي هو كم تجذب من المستهلكين بمختلف

الطرق التنافسية الجشعة لشراء واستهلاك سلعة ما، دون النظر إلى نوعية وجودة وهدف السلعة . وهكذا أصبحت الحركة الحزبية الإسرائيلية مفرغة من كل أُسس ومعايير الايديولوجيا . أصبحت الأحزاب في همها الأول ترويج بضاعة خدمات ذاتية ومحصورة في قطاعات ما لنيل مزيد من الدعم . لم تعد المسألة مرتبطة بالفكر وتطويره لدعم النشاط العملي. في الحقل السياسي ،أصبح النشاط السياسي رهين مصالح اقتصادية يتحكم بها عدد من أصحاب رؤوس الأموال بطريقة غير مباشرة في المشهد الإسرائيلي، ولهم دور مؤثر وفاعل في تراجع المجتمع الإسرائيلي من حيث بنيته الاجتماعية المتوازنة ، ليتحول إلى مجتمع مركب من عنصرين آخذين في التباعد وهما اغنياء اقتصاديا وفقراء اقتصاديا،وهذا ينعكس في توجهات الحكومات الإسرائيلية منذ عقد ونصف من الزمن.

النماذج الحزبية التي تعرضت لتفكك وتراجع واختفاء في كثير من الحالات هي متعددة على الساحة الحزبية الإسرائيلية، ولسنا بصدد استعراض كل هذه الأحزاب او الحركات السياسية التي تعرضت لمثل هذه الحالة، إذ يكفينا التطرق إلى حزب مبام (حزب العمال الموحد) لفهم وإدراك التوصيف الذي سنقدمه بخصوص حالة هذا الحزب التي تلائم ما طرحناه في هذه المقدمة. ولفهم آلية الحراك الحزبي في إسرائيل وتوجهات قيادات الأحزاب نحو رؤى وتطلعات منفعية ذاتية في الأساس، غير محصورة في قوالب الايديولوجيا.

مبام : حـزب صهيوني اشتراكي الانطلاقة

مبام هو نتاج تحالف أو اتحاد تم في مطلع العام ١٩٤٨ بين حزب " هشومير هتسعير "(الحارس الشاب) وبين حزب " احدوت هعفودا " (وحدة العمل). وتمكن الحزب الجديد من أن يكون الثاني من حيث عدد أعضائه في الكنيست الإسرائيلي بعد حزب مباي (حزب عمال ارض إسرائيل).وعكس حزب مبام كونه تيارا فكريا ايديولوجيا مركزياً في المشهد الإسرائيلي في فترة ما قبل إقامة إسرائيل وبعدها بقليل.وبعد سلسلة من الانقسامات والانشقاقات ،كما سنرى، انضم حزب مبام إلى حزب العمل ضمن تحالف أُطلق عليه "المعراخ" (التجمع العمالي) وذلك في عام ١٩٦٩. وبقي تحالف مبام مع حزب العمل حتى عام ١٩٨٤ حين خاض الحزب جولة انتخابات بصفة مستقلة دون تحقيق انجازات كبيرة كما كان متوقعاً من قبل قياديه، إلى أن حصل الانضمام إلى حركة ميرتس السياسية في العام ١٩٩٢، وتم الإعلان بعد هذا العام بصورة واضحة لا تقبل التأويل عن مزج مؤسسات مبام مع مؤسسات ميرتس وبالتالي تفكك الأُطر القيادية والإدارية لهذا الحزب وذوبانه ضمن ميرتس ذاتها .

مبام : أُسس ومنطلقات ايديولوجية وسياسية

واجه الييشوف اليهودي في فلسطين في الثلاثينيات من القرن الماضي سلسلة من الزعزعات السياسية والايديولوجية ، خاصة في أوساط الحركة العمالية. وظهر على الساحة السياسية العمالية تياران، الأول قاده حزب مباي رافع راية المأسسة والسياسة العملية المبنية على الديناميكية أكثر من الميل إلى العقائدية بصورتها الفظة . والتيار الثاني هو أكثر ثورية وابتعادا عن المأسسة ، كما سنرى .

وارتبط حزب مبام في انطلاقته بما جرى وتطور داخل اطر ومؤسسات حزب مباي في الأساس. فحزب مباي تأسس في العام ١٩٣٠ جراء اتحاد بين حزب " هبوعيل هتسعير " (العامل الشاب) وحزب " احدوت هعفودا " . وخلف هذا الاتحاد وراءه حزبي "هشومير هتسعير " و " بوعالي تسيون سمول " (عمال صهيون يسار).وما ميز هذه الأحزاب أنها بالرغم من الاتحاد المذكور لم تغادر الهستدروت التي اعتبرت في حينه أهم قوة تنظيمية ومؤسساتية في الييشوف اليهودي في فلسطين، إنما بقيت ضمن إطار الهستدروت كتنظيم عمالي عبري ، إضافة إلى متابعة هذه الأحزاب عضويتها ونشاطها السياسي والعسكري ضمن منظمة الهاغاناه. وتابعت هذه الأحزاب دعمها العقائدي لبناء البلاد وتجذير أُسس ومفاهيم الطلائعية في المجتمع العمالي

وبـدأت تنطلق في صفوف مباي في مطلع الاربعينيات أصوات تدعو إلى الحفاظ على النضال العمالي وفق الأُسس والمنطلقات الايديولوجية التي كانت شارة انطلاقة مباي . إلا أن مسار بن غوريون الفكري والسياسي اتجه نحو مزيد من المأسسة والتنظيم المسبق لإقامة الدولة اليهودية. وازدادت حدة الخلافات بين هذين التوجهين داخل مباي ما أدّى في نهاية الأمر إلى قيام اسحق طبنكين بالانشقاق عن مباي وتأسيس " الكتلة ب" وذلك في عام ١٩٤٤

المناضل. وهذه التطلعات والمفاهيم ارتكزت على أُسس ماركسية ولينينية . القضية الأساس التي اخترقت أجواء الفوارق بين اتحاد الحزب المذكور(مباي) والأحزاب المتبقية خارجه كانت في الأساس متمحورة حول كون هشومير هتسعير من مؤيدي دولة ثنائية القومية في فلسطين لتوفير وضمان حل سياسي لأزمات الساعة الحرجة التي تمر بها فلسطين عموما، واليشوف اليهودي خاصة . هنا كان الفارق الأساسي بين مباي وهشومير هتسعير . إذ أن مباي رفض طرح فكرة دولة ثنائية القومية في فلسطين، بل إنه تمسك بفكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ككيان صهيوني يؤكد الطروحات الصهيونية من خلال مشروع بازل وتصريح بلفور وما تبعهما من تأكيدات على ضرورة إقامة دولة يهودية في فلسطين.من جهة اخرى رأت قيادة هشومير هتسعير انها ملزمة بعدم قطع العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وقائده ستالين، وهذا الأمر لم يكن واردا في حسابات دافيد بن غوريون زعيم مباي. وحاول هشومير هتسعير كسب الأُطر المدنية اليهودية في فلسطين من خلال " العصبة الاشتراكية " التي أسسها في العام ١٩٣٦ ، إلا أن محور قوته وجوهرها بقي في الكيبوتسات التي تمسكت في حينه بأسس الماركسية والمبادئ التعاونية.[٢]

وبدأت تنطلق في صفوف مباي في مطلع الاربعينيات أصوات تدعو إلى الحفاظ على النضال العمالي وفق الأُسس والمنطلقات الايديولوجية التي كانت شارة انطلاقة مباي . إلا أن مسار بن غوريون الفكري والسياسي اتجه نحو مزيد من المأسسة والتنظيم المسبق لإقامة الدولة اليهودية. وازدادت حدة الخلافات بين هذين التوجهين داخل مباي ما أدّى في نهاية الأمر إلى قيام اسحق طبنكين بالانشقاق عن مباي وتأسيس " الكتلة ب " وذلك في عام ١٩٤٤ ، ثم اتحدت هذه الكتلة في عام ١٩٤٦ مع حزب بوعالي تسيون مكونين اطاراً حزبيا سياسيا جديدا تحت عنوان " احدوت هعفودا - بوعالي تسيون " . من هنا تولد تقارب كبير بين هذا الحزب الجديد وبين هشومير هتسعير كانت نتيجته اتحاد جديد في مطلع عام ١٩٤٨ كون " مبام - حزب العمال الموحد " .

صراع فكري في ميدان الايديولوجيا

مباشرة بعد الإعلان عن إقامة إسرائيل في أيار ١٩٤٨ انضم حزب مبام إلى " مجلس الشعب " المؤقت الذي أقامه بن غوريون، وهو عبارة عن حكومة مؤقتة لتصريف الأعمال ريثما تتم عملية انتخابات رسمية وقانونية لمجلس تمثيلي للشعب. وحصل مبام على مقعدين في مجلس الشعب من أصل ١٣ مقعدا. بمعنى آخر أن مبام كان في ائتلاف غير رسمي مع حزب مباي منافسه وذلك في بدايات دولة إسرائيل. وهذا يعني بصورة أو أخرى أن مبام أصبحت جزءا من المؤسسة الحاكمة. ولم يقتصر أمرها عند هذا الحد بل إن عددا من أعضاء مبام كانوا في صفوف قيادة الجيش الإسرائيلي أمثال يغآل الون ويسرائيل غاليلي. والمدقق في مسار إسرائيل في شهورها الاولى يتبين له أن قياديي مبام في الجيش والسياسة كانوا من المتشددين في إتباع خط عسكري حازم دون هوادة ، وصدق القول فيهم: " إن رجال مبام رأوا المسألة العربية من خلال فوهة البندقية " .

تمتع حزب مبام في هذه المرحلة من شعبية واسعة ومن

بالإمكان مناقشة دعم الحزب لستالين من منطلق كونه حارب هتلر وحرر معسكر اوشفيتس من الالمان، هذا المعسكر الذي شهد عمليات تصفية عرقية لأعداد كبيرة من اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وكونه أيضا قد وجه أوامره إلى مندوب الاتحاد السوفييتي في الأمم المتحدة لدعم إقامة إسرائيل والاعتراف بها. ولكن ستالين هذا هو غير ستالين الذي وجهت إليه الصهيونية وإسرائيل وأحزاب مستقلة فيها أصابع الاتهام بملاحقة يهود وصبغ عدد منهم بالتجسس في روسيا وتشيكوسلوفاكيا.

تنظيم على مستوى جيد، فالحزب اصدر صحيفة خاصة به " عال همشمار" (كان قد أصدرها مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية)، ولاقت هذه الصحيفة انتشارا وقبولا في الأوساط العمالية . وظهر على صفحتها الأولى شعارات " من اجل الصهيونية، من اجل الاشتراكية، وأخوّة الشعوب"، وهذه الشعارات تعكس بوضوح مدى التمسك بالايديولوجية الماركسية في بعض أجزائها ، بطبيعة الحال، دون التنازل عن الصهيونية التي وردت في بداية الشعارات .وكجزء من عملية تعميق الايديولوجيا العمالية اصدر حزب مبام جريدة أسبوعية خاصة بالأولاد من منطلق إدراك قيادة الحزب أن الأولاد هم زيت الحزب مستقبلا ويتوجب على الحزب تربية هؤلاء تربية متميزة ليبقوا أُمناء للايديولوجيا التي يطلقها الحزب. وتمتع حزب مبام بصورة عامة بقوة جماهيرية واسعة ليس فقط في أوساط الكيبوتسات إنما في الشارع العام ، وساد الاعتقاد أن مبام سيكون البديل لحزب مباي في إدارة دفة الحكم في إسرائيل مستقبلا.

بالإمكان مناقشة دعم الحزب لستالين من منطلق كونه حارب هتلر وحرر معسكر اوشفيتس من الالمان، هذا المعسكر الذي شهد عمليات تصفية عرقية لأعداد كبيرة من اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وكونه أيضا قد وجه أوامره إلى مندوب الاتحاد السوفييتي في الأُمم المتحدة لدعم إقامة إسرائيل والاعتراف بها. ولكن ستالين هذا هو غير ستالين الذي وجهت إليه الصهيونية وإسرائيل وأحزاب مستقلة فيها أصابع الاتهام بملاحقة يهود وصبغ عدد منهم بالتجسس في روسيا وتشيكوسلوفاكيا.

ورغم هذه التوجهات بقيت بعض التيارات داخل مبام تعتقد أن الشيوعية هي مستقبل العالم اجمع وانه يتوجب على إسرائيل الحفاظ على علاقات جيدة مع الاتحاد السوفييتي بمعزل عن كل تصرفات ستالين بعد إقامة إسرائيل. ولكن هذا التوجه من مبام اصطدم بمواقف زعيم حزب مباي بن غوريون الذي رأى في الاتحاد السوفييتي مصدرا لقلق الحكومة الإسرائيلية ، وانه .أي بن غوريون نفسه .قد استهزأ من ستالين واعتبره حامي المزاج . ومن هنا نلحظ بوضوح أن بن غوريون قد توجه في رؤيته السياسية إلى الغرب، ولم ير في الشرق (الاتحاد السوفييتي)في هذه الحالة من نصير لإسرائيل.[٤]

لقد كان لانتخابات الكنيست الأولى في مطلع العام ١٩٤٩ اثر كبير على علاقة مبام كحزب عمالي مع حزب مباي كحزب عمالي ايضا . فاز مبام بـ ١٩ مقعدا من مجموع مقاعد الكنيست الإسرائيلي، بينما فاز حزب مباي بـ ٤٦ مقعدا . وبات واضحا لكثيرين أن تحالفا بين الحزبين العماليين سيقوي الدولة الفتية ، وسيدعم الايديولوجيا العمالية اليسارية . ولكن بن غوريون كان في سفينة سياسية أُخرى، حيث انه تبنى المبدأ العملي والرسمي المؤسساتي أكثر من ميله إلى تبني شيوعية في الحكم كما أراد وتمنى حزب مبام. رأى بن غوريون أن الأفضلية الأولى المطروحة على بساط البحث متمحورة ومتمركزة في بناء قوة الدولة الفتية وصقل وبلورة شكل وتوجهات مؤسساتها الحاكمة، أكثر من رؤى الأحزاب التي قامت قبل إقامة إسرائيل والتي اعتقدت أنها هي في الأفضلية الأولى، أي في أن وصولها إلى سدة الحكم هو ضمانة لديمومتها المستقبلية.وكان بن

غوريون قد اتخذ قرارات حاسمة قام بتنفيذها وفي مقدمتها تصفية التنظيمات العسكرية وتوحيدها في إطار الجيش الإسرائيلي. وقام بإصدار أوامره إلى الجيش الإسرائيلي بقصف سفينة التلينا في حزيران ١٩٤٨ والتي كانت محملة بسلاح وجنود تابعين لمنظمة الارغون(الايتسيل). واصدر أوامره في العام ذاته بحل منظمة البالماح التي كانت في صلة وثيقة مع حزب مبام. كانت مخاوف بن غوريون من انه في حال ضم مبام إلى حكومته فإنه لن يتمكن من مأسسة الدولة الفتية، بحكم توجهات مبام العقائدية والسياسية. ولهذا نرى أن بن غوريون قد وضع الأساس للتحالفات السياسية العمالية مستقبلا من خلال تحالفه مع أحزاب متدينة وأحزاب موجودة إلى يمين مباي. وهكذا وجد قياديو مبام أنفسهم في المعارضة وخارج دائرة اتخاذ القرار السياسي ورسم شكل الدولة ومؤسساتها مستقبلا. خاصة وان حزب مبام أراد أن يطبع الدولة بمؤسساتها وهيئاتها وشكلها المستقبلي بطابع ايديولوجيته السياسية والفكرية، مثل قضايا "الدين والدولة" و"التربية والتعليم"، ومسائل اقتصادية مصيرية وملحة في مرحلة دقيقة من مراحل تكوين الدولة.

مبام: ساحة للانقسامات والتفكك

أخذت الفوارق الايديولوجية والمنهجية تطفو على السطح بين مركبي ومكوني حزب مبام، نعني حزب "احدوت هعفودا" وحزب "هشومير هتسعير". وازدادت الفوارق بين الطرفين داخل مبام بعد انتهاء حرب ١٩٤٨ وبعد انتخابات الكنيست الأولى وبقاء مبام في صفوف المعارضة، بينما في الوقت ذاته سعى أعضاء "هشومير هتسعير" إلى مزيد من التوجه نحو الاشتراكية العالمية والتماثل مع الاتحاد السوفييتي وتوجهاته السياسية، في حين انطلق أعضاء احدوت هعفودا نحو حركية سياسية واستقلالية ايديولوجية والسير نحو توافق مع بن غوريون. وهكذا اخذ أعضاء احدوت هعفودا يرون بوضوح أكثر التقارب بينهم وبين أعضاء حزب مباي. وبالتالي أصبحت صورة التحالف بين احدوت هعفودا وهشومير هتسعير شكلية أكثر وللرأي العام اكثر مما لها علاقة بالجوهر والمحتوى.

ووقع إنشقاق أول في صفوف حزب مبام جراء النقاش الشديد الذي دار بخصوص ملاحقة السلطات الشيوعية في براغ لمندوب "هشومير هتسعير" فيها مردخاي اورن واعتقاله وتقديمه للمحاكمة في العام ١٩٥١ ودفاع كل من موشي سنيه ويعقوب ريفتين عن مصداقية هذه المحاكمة، مما اثار نقاشا قاسيا في صفوف مبام كانت نتيجته انشقاق سنيه وانضمامه إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وتبين للرأي العام داخل إسرائيل ان انشقاق سنيه ومجموعته ما هو إلا خطوة للتمسك بالايديولوجية أكثر من مسألة إنقاذ ومساعدة يهودي عضو حزب مبام تم اعتقاله دون اقل تهمة نسبت إليه، على حد ادعاء المتمسكين ببراءته.[٥]

إن الانشقاق الذي بدأه سنيه في صفوف مبام لم يؤد بالتالي إلى إعادة اللحمة وتحسين الأحوال مع جماعة "احدوت هعفودا"، بل بالعكس من كل ذلك، إذ أن هذا الانشقاق كرس التباعد والفجوة بين "هشومير هتسعير" اليساري ذي التوجهات السوفييتية والمتغاضي عن جرائم وملاحقات ستالين، وبين أعضاء "احدوت هعفودا". وهنا بادر عدد من أعضاء "احدوت هعفودا" إلى تأسيس جريدة يومية بعنوان "لامرحاف" لتنافس جريدة مبام "عال همشمار". ورغم توجهات "هشومير هتسعير" بطلب إغلاق الجريدة إلا أن أعضاء "احدوت هعفودا" رفضوا ذلك، وهذا كان سببا كافيا لوقوع انشقاق وانفصال جماعة "احدوت هعفودا" عن مبام (١٩٥٤)، الحزب الذي بقي من تركيبة واحدة أساسية متمثلة بحزب "هشومير هتسعير" وحده.

لقد عرفت السنوات الأولى من الخمسينات بكونها التاج الذهبي لليسار في إسرائيل، وهناك من يعتبر هذه المرحلة بكون اليسار العمالي قد طبعها وصبغها بمفاهيمه وتأثيراته، لكون اليسار العمالي هو الإطار السياسي والايديولوجي الذي ساهم مساهمة كبيرة في إقامة دولة إسرائيل، وكون الاتحاد السوفييتي الاشتراكي والعمالي قد عمل ضد النازية والفاشية ودعم مشروع إقامة إسرائيل.

لقد عرفت السنوات الأولى من الخمسينات بكونها التاج الذهبي لليسار في إسرائيل، وهناك من يعتبر هذه المرحلة بكون اليسار العمالي قد طبعها وصبغها بمفاهيمه وتأثيراته، لكون اليسار العمالي هو الإطار السياسي والايديولوجي الذي ساهم مساهمة كبيرة في إقامة دولة إسرائيل، وكون الاتحاد السوفييتي الاشتراكي والعمالي قد عمل ضد النازية والفاشية ودعم مشروع إقامة إسرائيل.

تنازلات في سبيل الانخراط في العمل الحكومي

انضم حزب مبام الى الائتلاف الحكومي الذي شكله بن غوريون في العام ١٩٥٥ وذلك بعد ان نال الحزب تسعة مقاعد ، بينما نال حزب "احدوت هعفودا" عشرة مقاعد. ورغم ان انضمام مبام الى الحكومة قد جاء بعد مرحلة رفض فيها بن غوريون التعامل مع هذا الحزب ، وأكثر من ذلك سلط على الحزب أجهزة الاستخبارات في "الشاباك" بواسطة التنصت، إلا انه -أي بن غوريون- قد فهم وأدرك أن "سم" وخطر مبام قد تبدد ولم يعد ذي فعالية بعد مرور مبام بسلسلة من الزعزعات والانقسامات القاسية التي تركت بصماتها على وضعية الحزب السياسية والاعتبارية في الشارع الإسرائيلي العام.

ومن جهة اخرى رأى بن غوريون بضرورة ضم مبام إلى ائتلافه الحكومي، خاصة بعد زوال حكم ستالين، ووقوع تراجع في الفكر السياسي لدى الأحزاب الشيوعية والاشتراكية بما فيها مبام ، وللوقوف في وجه حزب حيروت الذي قوى من وجوده على الخارطة السياسية والتمثيلية الإسرائيلية في أعقاب زيادة عدد أعضائه في الكنيست. لهذا فإن دخول مبام في الائتلاف الحكومي يساعد بن غوريون في تدعيم خططه ومستقبله السياسي.

بدأت تظهر على الساحة الحزبية داخل مباي ومبام تيارات من قياديين ابتعدوا نوعا ما عن الايديولوجيا ، وهؤلاء بدأوا بمواجهة زعامة الشيوخ من الصهيونيين أمثال بن غوريون واشكول وغولدا مئير. كان هدف القيادات الجديدة في مباي هجر الايديولوجيا والسعي إلى بناء قوة شخصية، وهذا الأمر لم يكن بعيدا عن أجواء مبام .

هذه المتغيرات المهمة على الساحة الإسرائيلية الداخلية، والتي تزامنت مع متغيرات في شكل وفعل الحكم في الاتحاد السوفييتي بعد انتهاء حكم ستالين دفع بحزب مبام إلى بلورة رؤية سياسية وايديولوجية صهيونية اشتراكية ذات أُسس عملية ويسارية على بعد بسيط من يسار حزب مباي الحاكم. ومرجعية مبام كانت في قياديها البارزين مئير يعاري ويعقوب حزان اللذين لم يكونا عضوين في الحكومة إنما وضعا أُسسا جدية لخط ايديولوجي عملي.

كان التوجه لدى مبام في هذه الفترة، أعني النصف الثاني من الخمسينيات من القرن الماضي ، نحو أُخوة يهودية - عربية. وكان مبام اول حزب صهيوني يوصل عضواً عربياً إلى الكنيست (رستم بستوني)، ثم تبع ذلك بعد سنوات كثيرة دخول أعضاء آخرين من بين العرب إلى الكنيست مثل محمد وتد وحسين فارس. وطالب مبام في سنوات الخمسينيات والستينيات إلغاء الحكم العسكري الذي كان مفروضا على المواطنين العرب في معظم أنحاء إسرائيل. كما أن مبام طالب بضرورة إحداث تغييرات على توجهات الدولة نحو قضايا ومسائل مثل الدين والدولة والعلاقة بينهما، ومسألة الاشتراكية. ورغم هذه المواقف الإصلاحية والمنفتحة بمفاهيم تلك الفترة ومعاييرها وروحها، إلا أن حزب مبام في الشأن العسكري رأى ضرورة الحفاظ على قوة إسرائيل العسكرية وتفوقها "لتصمد في وجه أعدائها والمزمعين تصفيتها كدولة يهودية" ، أي أننا نرى بوضوح سعي مبام إلى التمسك بالثوابت الصهيونية والإسرائيلية.

والمتفحص لبيانات مبام الانتخابية للكنيست الثانية في عام

١٩٥١ وللكنيست الثالثة لعام ١٩٥٥ يلحظ تمسك الحزب بالماركسية الراديكالية في قضايا اقتصادية ـ اجتماعية. إذ كان محور هذه البيانات هو السعي الحثيث نحو " ضرورة تصفية الرأسمالية " و " إلغاء استغلال الطبقات " و " تأسيس حكم عمال ثوري " و " صراع الطبقات " .ووجه حزب مبام في الخمسينيات اتهاماته نحو رؤوس الأموال في الاقتصاد الإسرائيلي، الذين اعتبروا محسوبين على اليمين الإسرائيلي. ونادت بيانات الحزب بحق الجماهير في ثروات البلاد ومصانعها الأساسية.وطالب أيضا بمراقبة البنوك والمصارف وتشجيع المبادرات العمالية في المجال الاقتصادي.ولكن سيكون واضحا أن مبام كحزب عمالي سيحافظ على شكل صوري لصراع العمال، وبالتالي سيعمل من اجل تحسين صورته في الشارع الإسرائيلي بابتعاده عن التطلعات الماركسية الراديكالية.[٦]

وتعرض حزب مبام إلى هزة سياسية كبيرة في العام ١٩٥٨ عندما القي القبض على احد قياديه اهارون كوهين ووجهت إليه تهمة إقامة علاقات سرية مشبوهة مع جهة سياسية سوفييتية، وحُكم بالسجن الفعلي لأربع سنوات، حيث كان لهذا الحكم أثره البالغ على مستقبل حزب مبام ورؤيته السياسية والعملية.

وبقي حزب مبام خارج الائتلاف الحكومي الذي تشكل في عام ١٩٦١ بعد أن رفض بن غوريون مطالب الحزب الشخصية .وهذا تحول في الايديولوجية من مصلحة الحزب إلى مصلحة أشخاص فيه .. ودخل مبام في الائتلاف الحكومي مجددا في حكومة ليفي اشكول في عام ١٩٦٦ بعد أن تحققت مجموعة لا بأس بها من مطالب الحزب .

نحو التجمع العمالي (المعراخ)

كان مسار حزب مبام مع مرور السنوات، خاصة في الستينيات، باتجاه الاعتدال والديناميكية أكثر من مجرد التمسك بالايديولوجية، وتم التعبير عن التحولات الحاصلة في الحزب من خلال مواقف سياسية وإعلامية واضحة المعالم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مباشرة، إذ صرح عدد من قياديي مبام

بن غوريون العام ١٩٥٥: أول تحالف مع مبام

انه يتوجب على الحكومة الإسرائيلية الحفاظ على الأراضي المحتلة كورقة مساومة مع الدول العربية في حال التوصل إلى اتفاق سلمي، وهنا أصبحت الطريق أكثر قربا لحزب العمل، فتم الاتحاد بين مبام وحزب العمل في عام ١٩٦٩ ضمن تجمع عمالي (المعراخ) وحرب الاستنزاف في أوجها.

حافظ أعضاء مبام في الفترة الواقعة بين ١٩٦٩ و١٩٧٧ على خط مستقل ضمن الاتحاد في التجمع العمالي ، وتميز هذا الخط بميله نحو اليسار ، بينما الخط الذي ميز حزب العمل هو أكثر نحو المركز في محور السياسة الإسرائيلية. وتولى فيكتور شمطوب من مبام حقيبة الصحة في حكومة رابين في عام ١٩٧٤، وهو الذي وضع أُسس المعادلة السياسية المشتركة مع اهارون ياريف من حزب العمل والتي عرفت بـ " معادلة ياريف.شمطوب " والتي تنادي بضرورة قيام إسرائيل بالتفاوض مع أي طرف يعترف أولا بوجودها ويعمل من اجل دحر الإرهاب.ولكن رابين رفض المعادلة لكونها سابقة لأوانها، رغم إنها كانت المرة الأولى التي تطرح فيها مسألة وجود طرف عربي يمكن أن يعترف بإسرائيل ويسعى الطرفان إلى حل القضية. من جهة أُخرى كانت هذه هي المرة الأولى التي تبحث فيها مسألة النشاط الفلسطيني من خلال منظمة فتح.

ورغم خسارة التجمع العمالي للحكم في إسرائيل عام ١٩٧٧ لأول مرة، إلا أن مبام لم ينسحب من الاتحاد ضمن التجمع العمالي، بل سرعان ما تحول إلى صفوف المعارضة ونشط في

وواضح لكل المطلعين على الشؤون السياسية والحزبية في إسرائيل أن مبام عرف كحزب ايديولوجي صهيوني التمييز بين التمسك بالمبادئ القيمية والسياسية لماهية الحرب في العام ١٩٤٨ وبين متطلبات الساعة خلال حرب هدفها، كما فهم ذلك كل صهيوني بغض النظر عن توجهاته السياسية، تصفية دولة إسرائيل الفتية والشعب اليهودي الذي سعى إلى إقامة دولة وفق شرعية دولية قانونية، كما رأوا ذلك.وهنا في هذه النقطة المصيرية قلب حزب مبام سلم أولوياته عند الإعلان رسميا عن إقامة إسرائيل، وتم التعبير عن ترتيب الافضليات الطارئ

بناء معارضة لحكومة مناحيم بيغين وحزب الليكود.

انسحاب من المعراخ وانضمام إلى ميريتس

بقي أعضاء مبام في عام ١٩٨٤ خارج حكومة الرأسين (بيريس وشامير) بسبب رفض يوسي سريد الجلوس مع الليكود في حكومة واحدة. وانضم سريد إلى حركة راتس السياسية ذات الميول اليسارية. أما مبام ففضل البقاء في المعارضة في مواجهة حكومة ذات ائتلاف مكون من أغلبية لم يشهدها الكنيست الإسرائيلي من قبل، إذ بلغ عدد أعضاء الائتلاف ٩٧ عضوا. أما في انتخابات الكنيست الثانية عشرة ففضل حزب مبام خوضها مستقلا دون الارتباط مع أي حزب أو إطار سياسي آخر، وهذا كان إيذانا بانتهاء الشراكة الرسمية مع حزب العمل، وحقق مبام في الانتخابات المذكورة أعلاه فوزا ضئيلا بحصوله على ثلاثة مقاعد فقط.وأصبح طريق مبام يسير نحو مزيد من التقارب مع طريق حركة ميرتس إلى أن تم الإعلان رسميا عن الاتحاد مع هذه الحركة في العام ١٩٩٢ وخوض انتخابات الكنيست الثالثة عشرة في قائمة واحدة. وبقيت خطوة واحدة نحو زوال وتفكك مبام تم الإعلان عنها في العام ١٩٩٦ حيث تم دمجه كليا ضمن مؤسسات ميرتس، وأُعلن عن انتهاء حزب مبام رسميا.

احدث حزب مبام تغييرا ملحوظا على توجهاته الاقتصادية بعد تركه ساحة حزب المعراخ وقبل انضمامه إلى حزب ميرتس، حيث أن قضايا مواجهة الرأسمالية بقيت ولكن اتخذت مسارا جديدا ،مثل معارضة الخصخصة والإبقاء على مراقبة الأسعار وتحديدها فيما له علاقة بالسلع الأساسية،ودحض كل المنهجيات القديمة والمتطرفة المستندة على قوى السوق بدون تدخل الحكومة ، بمعنى، أن مبام تدعو في هذه الفترة إلى مزيد من تدخل الحكومة للحد من الليبرالية الحاصلة في الحكم وإدارة المؤسسات في إسرائيل.

تراجع في مفهوم العلاقات الخارجية

من الواضح لنا أن حزب مبام لم يبق حزبا أسيرا لايديولوجية آمن بها، إذ تمتع بديناميكية طورته وأوصلته في نهاية المطاف إلى اتخاذ قرار بإلغاء ذاته، والالتحاق بصفوف حزب آخر أقل راديكالية.

ففي حين رفع حزب مبام لواء دعم السياسة السوفييتية ودعا إلى دعم التطلعات الثورية للاتحاد السوفييتي، دعا بكل قوة إلى تبني محاربة الرأسمالية الاستعمارية. ولكن التماثل مع الاتحاد السوفييتي والكتلة الشيوعية أخذ بالتراجع والتفكك في أعقاب سلسلة من الأحداث التي أدّت إلى اعتقال عدد من اليهود على يد السوفييت بتهم التجسس ومخالفة القوانين العامة في الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وصفقة بيع الأسلحة التشيكية لمصر في عام ١٩٥٥ وتهديدات الاتحاد السوفييتي ضد إسرائيل في مطلع العام ١٩٥٥ وخلال العدوان الثلاثي(١٩٥٦). كل هذه الظروف دفعت مبام إلى مزيد من الابتعاد عن الخط الايديولوجي الذي تبناه في مطلع طريقه السياسي، ومنعاً لتحول راديكالي في مواقف الحزب لجأت قيادة الحزب إلى نهج أُسلوب الحياد في العلاقات الخارجية بعكس ما كانت تسير فيه بقية الأحزاب

الايديولوجية في إسرائيل ، وفي مقدمتها حزب مباي الحاكم الذي مال نحو الغرب . وكان التحول في الخط الايديولوجي لحزب مبام في أعقاب تأييد الاتحاد السوفييتي للعرب في حرب حزيران ١٩٦٧ حيث صرح قياديو الحزب عن تركهم سياسة الحياد في العلاقات الخارجية ولم يدخل الحزب في مناقشة سياسية وايديولوجية مع الحكومة. والعامل السياسي الذي ساهم وساعد في تحول مبام في الشأن السياسي هو دخول الحزب في ائتلاف مع حزب العمل ضمن كتلة التجمع العمالي (المعراخ) ، وتبني مبام لسياسة السلام من خلال حل وسط لمسألة الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب حزيران.

مبام في مواجهة الصراع الإسرائيلي – العربي

ساد الاعتقاد في صفوف مبام في خضم حرب ١٩٤٨ بين الجيش الإسرائيلي حديث العهد وبين الجيوش العربية، أن هجوم العرب هو تعبير عن خوف وقلق الرجعية العربية من أن يساهم المشروع الصهيوني في إحداث تغييرات اجتماعية على عرب فلسطين، وعن طريق هؤلاء تنتشر أفكار ورياح التغيير في بقية البلدان العربية. ولهذا السبب دولة إسرائيل ملزمة خلال مجريات معارك العام ١٩٤٨ أن تكون رافعة لنقل أفكار وروح التغيير إلى البلدان العربية.

ومقابل هذا التوجه الفكري أو التحليل السياسي لمجرى الأمور، قام أحد زعماء ومنظري مبام اسحق بن اهارون بالاستهتار بتفسير الصراع من منطلق صراع بين الرجعية العربية وبين العرب الراغبين في إدخال تغيير على حياتهم السياسية والايديولوجية. وشدّد على أن أعضاء مبام يدركون بوضوح أن الصراع مبني في أساسه على صراع بين حركتين قوميتين جماعيتين.[٧]

وواضح لكل المطلعين على الشؤون السياسية والحزبية في إسرائيل أن مبام عرف كحزب ايديولوجي صهيوني التميز بين التمسك بالمبادئ القيمية والسياسية لماهية الحرب في العام ١٩٤٨ وبين متطلبات الساعة خلال حرب هدفها، كما فهم ذلك كل صهيوني بغض النظر عن توجهاته السياسية، تصفية دولة إسرائيل الفتية والشعب اليهودي الذي سعى إلى إقامة دولة وفق شرعية دولية قانونية، كما رأوا ذلك.وهنا في هذه النقطة المصيرية قلب حزب مبام سلم أولوياته عند الإعلان رسميا عن إقامة إسرائيل، وتم التعبير عن ترتيب الافضليات الطارئ في مقالة افتتاحية نشرت في صحيفة الحزب " عال همشمار ": " فوق عرش مشروع تحريرنا وقف السلام،وفهم الجيران، وأُخوة الشعوب، وهذا هو مصدر قوتنا. ولكننا الآن ملزمون بمواجهة الحرب وعلينا تسديد الضربات إلى العدو حتى حصول الهدوء والاستقرار لدولتنا ".[٨]

وبعد أن وضعت حرب ١٩٤٨ أوزارها وتم التوصل فيما بعد إلى اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بها، انتشرت في أوساط مبام تيارات سياسية متعددة، خاصة في الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ و ١٩٥٤. فجماعة "هشومير هتسعير" التي أيدت في فترة اليشوف (أي قبل عام ١٩٤٨) مشروع إقامة دولة ثنائية القومية أصبحت على استعداد للتوصل إلى حل وسط مع العرب. أما جماعة "احدوت هعفودا" فإنها مالت إلى تأييد فكرة إسرائيل الكاملة واليهودية، ويظهر هذا التناقض الحاد في التيارات الفكرية في مبام من خلال طرح البيانات الانتخابية للكنيست الأولى والثانية، حيث تم التعبير من خلالها عن قبول معين لفكرة إسرائيل الكاملة من خلال تلاعب في الكلمات والعبارات بهدف تمويه بين إسرائيل الكاملة وثنائية القومية وبين إسرائيل الكاملة واليهودية.

ومما جاء في البيان الانتخابي لمبام في انتخابات الكنيست الثانية (١٩٥١) بهذا الخصوص ما يلي:" ارض إسرائيل هي عبارة عن وحدة جغرافية واقتصادية وتاريخية واحدة. كل محاولة لتقسيم ارض إسرائيل ستؤدي حتماً إلى تحطيم وحدتها الاقتصادية– الاستيطانية وستمنع كل محاولة لتطوير أي قسم منها، وستزعزع اقتصادها وتعمق التناقضات والفجوات بين الشعوب المقيمة في الأقسام المجزأة منها، وستقلص المساحة التي عليها يقيم الشعب اليهودي وتصيب بالضرر البالغ استقلال وسيادة الشعوب.

إن الحفاظ على وحدة البلاد السياسية هو أمر ضروري وحيوي للشعب اليهودي ولجموع الشعب العربي في البلاد ولصالح القوى التقدمية لدى الشعبين معاً. حزب العمال الموحد سيحارب من اجل إعادة وحدة البلاد بالطرق السلمية على أساس اتفاق بين الشعبين وتحقيق حق تقرير المصير لكل منهما. ارض إسرائيل الكاملة ستكون وطناً مشتركاً للشعبين. من منطلق الاعتراف بحق الجماهير العربية المقمية في البلاد والشعب اليهودي العائد اليها للاستيطان في كافة أرجاء ارض إسرائيل " .[٩]

وواجه حزب مبام في خضم الصراع الإسرائيلي ـ العربي قضية اللاجئين الفلسطينيين. وكان اسحق بن اهارون احد منظري وقياديي الحزب قد أشار خلال مؤتمر مبام الأول إلى أن ما يجري على الساحة في المعارك بين المنظمات اليهودية العسكرية وبين الفلسطينيين وما عرف حينها بـ " نقل السكان العرب من مناطق الحكم اليهودي" ما هو إلا ثمرة سياسة إسرائيلية مرسومة ومخطط لها.[١٠] وطالب اهارون من حزبه الإعلان عن موقف صريح من قضية نقل العرب ونوه مشددا إلى انه سيحدث ترانسفير للعرب من المناطق اليهودية ـ حتى أن قواد المناطق والمسؤولين عنهم لا يدركون ما يفعلون. وأشار في سياق تحليله للأحداث أن " دولة يهودية 'تطهر' من العرب ستسبب ضعفاً وتراخياً في العلاقة مع الجزء الثاني من البلاد، واحتمال توحيد البلاد وإعادة تنشيط الحركة الاستيطانية والهجرة اليهودية سيصل إلى درجة الصفر " [١١].

ونادى زعماء مبام ، عند بداية ظهور وانتشار قضية اللاجئين بإعادة اللاجئين شريطة تحقق أمرين: إعادة اللاجئين الذين عُرفوا بدعمهم للسلام، وفي حال تحقق السلام الفعلي على ارض الواقع. وصرح المشتركون في مؤتمر مبام في أواخر حزيران ١٩٤٨ أن " دولتنا لن تقام على أساس منهج طرد المواطنين العرب " ونادى المؤتمرون كافة العرب البقاء حيث هم وقبول الحكم الإسرائيلي العسكري والمدني والتعاون من اجل تحقيق السلام والاستقرار. وكل من يدعو من اجل السلام ويعمل على تحقيقه له مطلق الحقوق المدنية والقومية حسب قوانين الدولة " . بمعنى آخر أن مبام قد وضعت أساس إعادة اللاجئين على قواعد التوصل إلى سلام في حال تحققه.[١٢]

ولكن مبام تنازل وتراجع عن رؤيته الايديولوجية والعملية لقضية اللاجئين الفلسطينيين في العام التالي أي ١٩٤٩، حيث أعلن يغآل الون من خلال مقالة له في " عال همشمار " ان " الحل الأساسي لهذه القضية متعلق بالدول العربية ذاتها. هذه الدول هي المسؤولة عن مصير اللاجئين. " ومن الواضح أن مثل هذه التصريحات ما كانت لتكتب لولا إدراك قياديي مبام أن الشروط الموضوعة لعودة اللاجئين لن تجد طريقها بسرعة إلى الحل، كما توهموا. وأضاف الون أن الحرب لم تنته بعد، وفي ظروف الحرب لا يوجد حديث عن إعادة اللاجئين على وجه الإطلاق.[١٣]

وأخذت أصوات كثيرة في مبام بالانضمام إلى جوقة الون بأن قضية اللاجئين هي في عنق الدول العربية المسؤولة عن هذه القضية، وهنا اقتربت آراء وطروحات مبام من الإجماع الإسرائيلي العام بأن إسرائيل ليست مسؤولة عما جرى مع اللاجئين ، لذلك فإن الحل لهذه القضية موجود عند الدول العربية وليس عند إسرائيل.

واضح هنا أن التغيرات الايديولوجية في رؤية الشراكة في العيش في فلسطين، كما كان يطرحها حزب مبام من خلال تطوره، ولكن زعماء الحزب أدركوا ضرورة تغيير هذه الايديولوجية ببعض الكلمات المبهمة أولا ثم الواضحة ثانيا. فبما أن حالة السلام لم تتحقق إذن من الواضح انه لا عودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وأوطانهم. الى جانب تبني مبام لفكرة أن زعماء وجيوش الدول العربية هم من أشعل فتيل الحرب مما سبب إعاقة ومنع تنفيذ مشروع إعادة اللاجئين إلى فلسطين.

التغييرات التي حصلت في آراء وطروحات قياديي الحزب تلاءمت مع روح الزمن السائدة في الأوساط السياسية الإسرائيلية. خاصة وان احتمالات عقد سلام بين إسرائيل والدول العربية أصبحت بعيدة (كان آباء إسرائيل يعتقدون انه في أعقاب التوصل إلى اتفاقيات هدنة وتوطيد الحكم والإدارة في إسرائيل سيهرول زعماء العرب إلى إقامة علاقات ديبلوماسية وطبيعية مع إسرائيل) .

توجهات مبام كانت أن نقل (ترانسفير) العرب من فلسطين هو أمر خاطئ قبل وخلال معارك العام ١٩٤٨ ، ولكن الظروف السياسية والديموغرافية التي استيقظ عليها أعضاء مبام الكبار

واضح هنا أن التغيرات الايديولوجية في رؤية الشراكة في العيش في فلسطين، كما كان يطرحها حزب مبام من خلال تطوره، ولكن زعماء الحزب أدركوا ضرورة تغيير هذه الايديولوجية ببعض الكلمات المبهمة أولا ثم الواضحة ثانيا. فبما أن حالة السلام لم تتحقق إذن من الواضح انه لا عودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وأوطانهم. الى جانب تبني مبام لفكرة أن زعماء وجيوش الدول العربية هم من أشعل فتيل الحرب مما سبب إعاقة ومنع تنفيذ مشروع إعادة اللاجئين إلى فلسطين.

غيرت من توجهاتهم الايديولوجية الى حد كبير.

وأخيراً، هل حقاً انتهت وماتت الأحزاب الايديولوجية في إسرائيل؟

مما لا شك فيه أن العقلية الايديولوجية في المجتمع الإسرائيلي آخذة بالتراجع والتقهقر، وفقدت الكثير من حيويتها بعد أن كانت سائدة لمدة اقتربت من ربع قرن منذ إقامة إسرائيل، وهناك من يؤمن في داخل المجتمع الإسرائيلي أن المركب النفسي والتاريخي الذي صاحب الكتلتين الحزبيتين الكبيرتين فترة طويلة من الزمن بدأ بالتغير في أعقاب الانقلاب في الحكم عام ١٩٧٧. ولا شك أيضا أن تراجع الموالاة للأحزاب الايديولوجية هي ظاهرة عالمية انتشرت في الربع الأخير من القرن العشرين وكان للمشهد الحزبي الإسرائيلي تأثرٌ به. وهناك من يعتقد أن احد العوامل في انهيار الأحزاب الايديولوجية بقاء شيوخ هذه الأحزاب في قيادتها فترة زمنية طويلة دون إدخال دماء جديدة لإحيائها وبالتالي فإن الذاكرة التاريخية لدى الشباب قصيرة للغاية، إضافة إلى أن المهاجرين اليهود الذين قدموا إلى إسرائيل على توالي السنين لم يكونوا من صانعي الفكر السياسي . ولذلك وجدت مجموعة كبيرة من الأحزاب الايديولوجية ذاتها في مآزق عبر مسيرتها التاريخية بعدم قدرتها على توفير إجابات لتطلعات شرائح جديدة حاصلة في مجتمع متغير ومتحرك بشكل دائم كالمجتمع الإسرائيلي.[١٤]

لم يعد موديل حزب جماهيري ممأسس هو الشغل الشاغل للحركة الحزبية في إسرائيل. هذه الأحزاب شقت طريقها نحو نهايتها سواء من عوامل داخلية في صفوف أعضائها الذين أدركوا ولو متأخرا أن أدوارهم على الساحة السياسية قد انتهت، أو بفعل عوامل خارجة عن نطاق الحزب ذاته.

وأدرك أعضاء حزب مبام انه ليس بمقدورهم مطلقا التحول من حزب ايديولوجي إلى حزب يعمل على جرف أعداد من المصوتين وفق مهنية تنافسية .

وهناك من يرى أن تراجع الأحزاب الايديولوجية نابع في أساسه من الأداء الحزبي ووقوع بلبلة في عملية الانتقال من حزب عقائدي إلى حزب انتخابي تنافسي بصورة شخصية . والتراجع في العامل الايديولوجي هو ذاته عامل مساعد في عدم الحاجة إلى قيادة فكرية روحانية ايديولوجية تقنع الجماهير. لم تعد الساحة الانتخابية الإسرائيلية بحاجة إلى قياديين طلائعيين مؤدلجين.

وهناك من يرى أن ضعف العامل الايديولوجي من شأنه تقليص الانشقاقات في الأحزاب من منطلقات ايديولوجية، بل بالعكس هذا التراجع والضعف سيكون عاملاً مساعداً في عقد شراكات سياسية، وهذا ما فعله حزب مبام حين توصلت قيادته إلى قناعات كاملة بضرورة التحالف مع قوى أُخرى قريبة من الخريطة السياسية، على الأقل، التي يؤمن بها منتسبو هذا الحزب.

ويجمع خبراء كثيرون في الشأن الحزبي الإسرائيلي انه غير وارد الآن إعادة إحياء دولة الأحزاب الإسرائيلية. ستزول الأحزاب بشكلها التقليدي. ومنطقيا ونظريا هذه الرؤية جيدة

ومقنعة بصورة ما. ولكن مكان التفريغ الحزبي يجب قيام بدائل من المفروض أن تسعى إليها الأحزاب القائمة مثل إحداث إصلاحات وتعديلات في مواقف ومؤسسات الأحزاب لتجذب إليها أعدادا اكبر من المؤيدين وبالتالي من المصوتين.

إن نموذج مبام هو دليل قاطع على زوال الايديولوجية من الحياة الحزبية الإسرائيلية، وما تبقى في الساحة صورة لبعض الأحزاب التي تنادي بالايديولوجية فقط دون فعل على ارض الواقع ، ما هو قائم هو تنفيذ مخططات سياسية بالمفهوم السياسي الآني والرؤية المستقبلية لتحقيق مزيد من المصالح السياسية والاقتصادية الإسرائيلية . كل هذه ليست مرتكزة على قواعد ايديولوجية بقدر ما هي مرتكزة على أُصول وقواعد سياسية براغماتية.

هوامش وملاحظات

(١) موشي ليساك. " انهيار الاحزاب وبروز القطاعات "، في كتاب: الاحزاب الديموقراطية الإسرائيلية في ضائقة. من إعداد داني كورن، إصدار الكيبوتس الموحد، تل ـ ابيب،١٩٩٨، ص ١٣٥.

(٢) يحزقئيل درور. " موت الاحزاب ومستقبل الصهيونية "، في كتاب كورن السابق، ص ٦٠.

(٣) بنيامين نويبرغر. الاحزاب في إسرائيل. اصدار الجامعة المفتوحة، تل ـ أبيب، ١٩٩٧، ص ص ٤٨–٥٠.

(٤) عرف عن بن غوريون سخريته من الشيوعية ومن الاحزاب الشيوعية بما فيها الحزب الشيوعي الإسرائيلي حيث ساواه مع حزب حيروت بقيادة مناحيم بيغين رافعاً شعار رفض ادراجهما في أي ائتلاف حكومي يقوم بتشكيله. انظر نويبرغر، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٥) كان لمحاكمة اعضاء من مبام في براغ دور في زعزعة جوانب من الفكر الايديولوجي الذي تمسك به عدد من أعضاء الحزب، خاصة بعد موافقة سنيه ورفاقه على مصداقية وشرعية المحاكمة . المصدر السابق ، ص ٥٠ ، حاشية رقم(١).

(٦) نويبرغر، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٧) يوسي اميتاي. " مواقف مبام من قضايا عرب فلسطين "، في كتاب: اليسار الموحد ، الطريق الاجتماعي لحزب مبام في بداية الدولة ١٩٤٨–١٩٥٤. من إعداد بروفسور الكانا مرغليت. إصدار جفعات حبيبا، ١٩٩١، ص ٢٨٣.

(٨) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٩) نويبرغر، م.س. ص ٥١.

(١٠) اميتاي ،م.س. ص ٢٨٤.

(١١) م.س. ص ٢٨٥.

(١٢) م.س. ص ٢٨٥.

(١٣) م.س. ٢٨٦.

(١٤) داني كورن، م.س. ص ٢٥٧.

صدر حديثاً عن

مدار

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

The Palestinian Forum for Israeli Studies (MADAR)

الصحافة والاعلام في اسرائيل

د. أمل جمال

تم نشر هذا الكتاب بدعم من الوكالة الكندية للتنمية الدولية (CIDA).